من فقه التعايش السلمي في الإسلام:

تسامح الإسلام في التعامل مع غير المسلمين

إعداد

ا د/ حسن السيد حامد خطاب

أستاذ الدراسات الإسلامية

ورئيس قسم اللغة العربية السابق

ووكيل كلية الآداب – جامعة المنوفية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الجزاء والدين .

أما بعد ،،

الإسلام دين الله.الذي خلق الإنسان، علمه البيان، وجعله خليفة له في أرضه، يعمر ويبني ويشيد ويتعلم ويعلم ويتعاون ويتراحم ويتكافل مع أخيه الإنسان ليحقق عمارة الكون.

قال تعالى: ﴿ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾(هود: ٦١) كل الناس مطلوب منهم إعمار الأرض، والعمل على عمارتها بكل ما يحقق ذلك كله .كل بحسب استطاعته ليس هذا حكرا على طائفة أو نوع أو لون أو عنصر، وإنما دعوة للكل رجالا ونساء على اختلاف قبائلهم وشعوبهم وأعراقهم؛ لأنه سبحانه خلق الناس من أصل واحد، وهو آدم وجعلهم شعوبا وقبائل لا ليختلفوا ويتنازعوا، ولكن ليتعارفوا ويتعاونوا على البر والتقوى.

والبر اسم جامع لكل خير فيه صلاح الإنسان، في دينه ودنياه وعاجل أمره وآجله : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (الحجرات:١٣) وهكذا دعا الله سبحانه وتعالى الناس جميعا إلى العمل النافع والمفيد، ولا يكون ذلك إلا إذا حقق مصلحة للعامل ولغيره : ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (التوبة: ١٠٥) ولا يمكن للعامل أن يعمل ولا أن يبني إلا إذا كان المجتمع آمنا مستقرا ولا يتحقق ذلك إلا في ظل التعايش السلمي بين بني الإنسان مسلمين أو غير مسلمين.

فعملية البناء والتعمير والتشييد ليست محصورة على المسلمين وحدهم، وإنما هي مطلب عام يقتضي تعاون كل الجهود الإنسانية التي تعمل على تحقيق الخير العام والنفع العام لصالح البشرية كلها، و لايوجد ذلك إلا بالتسامح والتقارب والتعاون .

وهذا يعد مطلبًا أساسيًّا في تشريعات الإسلام، ولا يختلف فيها مع غيره من الأديان؛ فالأديان كلها تهدف إلى تحقيق مصالح الإنسانية، ولا تتحقق تلك المصالح إلا بالتعايش السلمي، ولا يمكن وجوده في ظل العداوة والكراهية والبغضاء.

ولقد بين الله تعالى في كتابه المجيد، وعلى لسان نبيه –صلى الله عليه وسلم– أسس التعامل والتعايش السلمي بين الناس جميعًا في كل الأحوال والأزمان، والتي تضمن التواصل والتقارب والتعاون والاندماج بين المجتمعات والطوائف عبر العصور المتعددة في أبهى صورة وأحسن مثال من أجل حياه آمنة مستقرة لبنى الإنسان.

ومع ذلك نسب البعض زورًا وبهتانًا إلى الإسلام أو الأديان الإلهية أنها تدعو إلى التفرقة العنصرية وأن أصل العداوات هي العداوة الدينية، وأن المسلم لا يتعاون إلا مع المسلمين، وأن المسلمين أعداء لغيرهم، واستشهدوا ببعض الأقوال المبتورة أو الأفعال الفردية التي لا تمثل إلا فاعلها، ولا تنسب إلى دين أو حضارة بل الأديان منها براء.

وهذا الفهم الخاطئ يثير العنف في المجتمعات، وينشر الكراهية بين أبناء الإنسانية، ولو أنهم فهموا تعاليم الإسلام من القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة لعرفوا أن الإسلام دين الإنسانية، دين التعايش السلمي بين بني الإنسان، وأنه يؤسس العلاقة بين الناس على أساس متين من التسامح والمودة والاحسان، ليتحقق الأمن والسلم والسلام للبشرية أجمع بل لكل العوالم التي تعيش على هذه الأرض.

فالإسلام والإنسانية أو مصالح الإنسان وجهان لعملة واحدة حتى قرر السادة الفقهاء:

إذا وجدت المصلحة فثم الشرع، وإذا وجد الشرع وجدت المصلحة:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (١٦٨) إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾(سورة البقرة: ١٦٨- ١٦٩)

ولبيان بعض أوجه سماحه الإسلام في التعامل مع الآخر وأسس التعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم، أو بين بني الإنسانية تقتضي طبيعة البحث تقسيمه إلى:

مقدمه وتمهيد وخمسة مطالب وخاتمة

المقدمة في أهمية الموضوع وخطته.

والتمهيد في مصطلحات العنوان والألفاظ ذات الصلة

المطلب الأول: سماحة الإسلام في تشريع الهجرة.

المطلب الثاني: سماحة الإسلام في العهود والمواثيق.

المطلب الثالث: سماحة الإسلام في تشريع الجهاد.

المطلب الرابع: سماحة الإسلام في تحريم الاعتداء على غير المسلمين .

المطلب الخامس: سماحة الإسلام في معامله غير المسلمين.

التمهيد:التسامح في الإسلام

الحمد لله رب العالمين ،الملك السلام ، أرسل رسوله برسالة السلام ، لينشر السلم والسماحة والأمان ليعم الخير ويعيش العالم في سلم وأمن وأمان ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم . وبعد

ففي هذا المقال أتناول جانبا من القيم الإنسانية في الإسلام ،والتي لها أثرها في تحقيق الحياة المستقرة في المجتمعات المعاصرة ،والتي تمس الحاجة إلى تحقيقها في عالم اليوم الذي كثرت فيه الفتن وتصارعت فيه الشعوب مع بعضها ،وانتشر الإرهاب في الأمة بسبب الفهم الخاطئ للأديان ،وعدم تفعيل ثقافة التسامح التي أتى بها الإسلام ،ودعا إلى تفعيلها بين الخلق والعباد ، فما أحوج البشرية اليوم إلى قيم التسامح ليتعارف الناس ،ويتعاونوا ويتكاملوا ويتراحموا ،ليعيش العالم أجمع بكل ما فيه في أمن وأمان

وحتى يتبين أثر ذلك كله أبين معنى التسامح وأهم أسسه وقيمه وأثرها على الفرد والمجتمع وواجب المسلم اليوم .

أولا:تعريف التسامح:

جاء في لسان العرب في مادة (سَمَحَ) وسمح ككرم معناه صار من أهل السماحة.[1]

وفى الصحاح [سمح] س م ح : السَّمَاحُ و السَّمَاحَةُ الجود ،سَمَح به يسمح بالفتح فيهما سَمَاحا وسَمَاحةً أي جاد و سَمَحَ له أي أعطاه .... وقوم سُمَحاءُ بوزن فقهاء وامرأة سَمْحةٌ بسكون الميم ونسوة سِمَاحٌ بالكسر، و المسَامَحَةُ المساهلة و تَسامَحوا تساهلوا [2]

فالسماحة تعنى: اللين واليسر وعدم العنف ونبذ التشدد والكراهية فيكون المسلم سمح النفس، متسامحا مع الناس مهما اختلفت ألوانهم وأجناسهم وأديانهم.

فالتسامح يعني: قبول الآخر مهما تباعد ومهما اختلف دينه ولونه وعرقه.-

والتسامح بهذا فضيلة أخلاقية، وضرورة مجتمعية، وقاعدة مهمة لضبط سلوكيات البشر من أجل أن يتعاونوا ويتكاتفوا في عمارة الأرض، والتي لا تتحقق إلا بالتعايش السلمي

---

[1] - لسان العرب (٢/ ٤٨٩)

[2] - مختار الصحاح (ص: ٣٢٦)

ولاسبيل إليه إلا بالتسامح الذي يقبل كل الناس بصرف النظر عن أجناسهم وألوانهم ومعتقداتهم.

هذه المعاني أسسها الإسلام تأسيسًا لا يوجد في نظام و لا دين إلا التشريع الإسلامي؛ لأنه دين الإنسانية جمعاء؛ فهو يقرر المبادئ التي تحقق للبشرية الحياة الطيبة المطمئنة، الخالية من الصراع والتطرف والعنف والإرهاب، فيربط بين الكل في نداءات الله تعالى في القرآن الكريم :﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾.(النساء:١)

ينادى المولى عز وجل الناس جميعًا على اختلاف ألوانهم وأعراقهم وأشكالهم أن يتقوا الله ربهم الذي خلقهم من نفس واحدة فلا يتشاجروا ولا يتقاتلوا ولا يعتدي بعضهم على بعض ولا يظلم بعضهم بعضا؛ لأنهم جميعا من نفس واحدة، فبينهم من رباط الأصل الواحد ما يجعلهم متسامحين ومتراحمين ومتعاونين مهما اختلفت الألوان والأماكن والبلدان ومهما اختلفت العقائد والأديان.

هذه الأصول الإسلامية المهمة بالرغم من كونها حقائق مقررة في المصادر التشريعية للإسلام سواء فى القرآن الكريم أو السنة النبوية أو فعل الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، إلا أن التطبيق الخاطئ والسلوك غير الجاد من بعض المسلمين، يجعل من ينظر إلى المجتمعات الإسلامية وإلى تصرف بعض الجماعات المنسوبة للإسلام، وهى تتعامل بالكراهية والعنف وتمارس الإرهاب بكل مظاهره، مما يكون عقبة أمام غير المسلمين الذين يوقعهم ذلك التناقض غير المدعوم بالدليل إلى تصور الإسلام بأنه دين يدعو إلى الكراهية والتطرف والعنف، ونبذ الآخر وعدم احترام الحريات الإنسانية، وهذه الجماعات والسلوكيات المتطرفة لا تمثل الإسلام، ولا تعبر إلا عن نفسها مهما حاولت أن تلتصق بالإسلام فالدعاوى ما لم تقم عليها بينات أدعياؤها أبرياء؛ لأن الذي يستقرئ نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وسيرة النبي الأكرم صلى الله عليه وسلم، يدرك بوضوح أن الإسلام دين السماحة، ينادي المسلمين أن يكونوا متسامحين فى كل تصرفاتهم وسلوكياتهم، وأن يعلموا الناس كيف تكون السماحة، وأن هذه رسالة لكل مسلم يحملها عن النبي صلى الله عليه وسلم من قوله صلى الله عليه وسلم :« بعثت بالحنيفية السمحة».[٣]

[٣] - أخرجه أحمد (٢٦٦/٥ ، رقم ٢٢٣٤٥) ، والطبرانى (٢١٦/٨ ، رقم ٧٨٦٨) .

وقال صلى الله عليه وسلم للامة وهو يعلم أصحابه:« أيها الناس إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين »[٤]

و روي عن عبادة بن الصامت أنه قال: « يا نبي الله أي العمل أفضل، قال: " الإيمان بالله والتصديق به و الجهاد في سبيله" قال أريد أهون من دلك يا رسول الله قال: " السماحة و الصبر»[٥].

ثانيا: أنواع التسامح :

من خلال النصوص القرآنية والنبوية يفهم أن التسامح على نوعين:

الأول: التسامح الديني : وهو التعايش بين الأديان، بمعنى حرية ممارسة الشعائر الدينية والتخلي عن التعصب الديني والتميز العنصري.الذي يؤدى الى مشكلات اجتماعية وغيرها.وهو يعنى أن المسلم يؤمن بجميع ما أنزل الله تعالى من كتاب، وما أتى بعض رسله من صحف، وأنها كلام الله أوحاه إلى رسله ليبلغوا عنه شرعه ودينه، وأن هده الكتب الأربعة هي : القرآن الكريم، التوراة، الزبور، الإنجيل.

والثانى: التسامح الفكري : آداب الحوار والتخاطب وعدم التعصب للأفكار الشخصية والحق في الإبداع والاجتهاد.

وهذا كله محقق فى القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحية حتى لايبغي الناس بعضهم على بعض وأن يتعارفوا ويتألفوا لتحقيق الحياة الطيبة والمستقرة قال تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ الحجرات : ١٣) .

وهذا يدل على أهمية التسامح بين الناس الذي يحقق ذلك المعنى ويظهر أثره على الفرد والمجتمع بكل طوائفه وأجناسه، ويظهر أثر ذلك جليا من خلال التطبيق العملي له في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته وماترتب على ذلك من انتشار الإسلام، وإقبال الناس على تعلم الإسلام، والمشاركة إلى جانب المسلمين العرب فى صنع الحضارة الإسلامية حتى جعل للحضارة الإسلامية في أيام مجدها وازدهارها ميزة على غيرها: أنها

[٤] - أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الوضوء، باب صب الماء على البول في المسجد،ج١ ص ٥٤، رقم (٢٢٠).
[٥] - رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٣/ ٧٢٥)- كتاب معرفة الصحابة رضي الله تعالى عنهم-- ذكر عمير بن قتادة الليثي رضي الله عنه- رقم (٦٦٢٨).

لم تكن حضارة شرقية فحسب، وإنما كان ما يميزها هو الإسلام الذي ذابت فيه الفوارق بين الطبقات والأجناس، حيث جعل من غير العرب من يعتنق الإسلام، ويخلص له ولتراثه ولغته، ويجد لنفسه مكانًا بين المسلمين العرب، بل ويتفوق عليهم أمثال سيبويه، والإمام مسلم، والإمام البخاري وغيرهم. ولاسر لذلك إلا التسامح الذي لمسه هؤلاء الناس فى أخلاق المسلمين والذي كان ترجمة فعلية لسماحة الإسلام، وفيما يلي أهم أسس التسامح ومظاهره وقيمه وواجب المسلمين اليوم نحو مجتمعاتهم وأوطانهم ونشر رسالة التسامح الإنسانية الإسلامية مع شعوب الأرض وكل خلق الله أجمعين:

أولا: إسس التسامح في الإسلام:

وضع الإسلام مبادئ للتسامح بين المسلمين من ناحية والاعتراف بغير المسلمين والتعامل معهم على أساس من الإنسانية، من تلك المبادئ مايلي:

١- **يقرر الإسلام أن الأديان الإلهية كلها تأخذ من معين واحد،** وتهدف إلى أمر واحد، تأخذ من عند الله تعالى، وتأمر بعبادة الله وحده، وتهدف إلى توحيد الخالق والاعتراف به سبحانه، قال تعالى:﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾(الشورى: ١٣) وقال تعالى:﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء :٢٥) وقولهﷺ :«أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي : لا إله إلا الله وحده لا شريك له».[٦]

٢- يؤكد الاسلام أن الأنبياء جميعًا إخوة لا تفاضل بينهم من حيث الرسالة، وأن على المسلم أن يؤمن بهم جميعًا قال تعالى:﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (سورة البقرة: ١٣٦) وقوله سبحانه:﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ﴾ (سورة البقرة: ٢٨٥) وهذا الإيمان يظهر أثره فى عدم ازدراء الأديان ، ونبذ العنف والكراهية ليتحقق الاستقرار فى الحياة.

[٦] - أخرجه الطبرانى فى الدعاء (٢٧٣/١ ، رقم ٨٧٤)

٣-**من المبادئ الإسلامية :أنه لايجوز الإكراه على الدخول في الإسلام:** فقد جعل الله سبحانه شرط صحة الإسلام الرضا ظاهرًا وباطنًا، فنهى عن الإكراه على العقيدة قال تعالى:﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ (سورة البقرة: ٢٦٥) وقال مخاطبًا النبي ﷺ ومعلمًا الأمة من بعد :﴿ أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (يونس:٩٩) أي: لاينبغي إكراه الناس على الإيمان، والمعنى لا يكون الإيمان مع الإكراه.

٤-**أن الاختلاف في الدين لا يمنع الحوار الذي يهدف إلى الوصول للحقيقة،** فجعل الإسلام الحوار بين المسلمين وغيرهم جائزا مادام في حدود الأدب الذي يهدف إلى الحقيقة فقال تعالى:﴿ وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (العنكبوت: ٤٦) ونهى عن سب غير المسلمين حتى لا يسبوا الله ورسوله فقال تعالى:﴿ وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (الأنعام : ١٠٨)

٥-**أن الاختلاف في الدين لا يمنع البر والصلة بين المسلمين وأهل الكتاب** قال تعالى:﴿ لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ* إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ ﴾ (الممتحنة :٨، ٩) وكذلك إباحة الزواج من غير المسلمة من أهل الكتاب إذا لم يكن ضرر قال تعالى:﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (المائدة: ٥)

٦-أن الحرب في الإسلام شرع لرد العدوان، وحماية العقيدة، ودرء الفتنة والضرر عن المسلمين قال تعالى:﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ (سورة البقرة:١٩٣) و قال تعالى:﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (سورة البقرة:١٩٠) فلم يشرع القتل وإنما القتال وهو لايكون إلا عند الاعتداء على المسلمين؛ لأن القتال والمقاتلة مفاعلة لاتكون إلا بين جانبين كما هو نص الآيات الكريمة.وكذلك قوله ﷺ:«أمرت أن أقاتل الناس» . ولم يقل ﷺ أن أقتل الناس؛ لأن

القتل اعتداء والاعتداء محرم فى كل وقت ولذا قال سبحانه :﴿ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (سورة البقرة: ١٩٠)

٧-**من مبادئ التسامح الإسلامي أن الإسلام حرَّم على المسلمين الانتقام والتشفي والاضطهاد القائم على العصبية**، وذلك كما لو انتصر المسلمون على أمة من الأمم فيحرم سلب حرياتهم، وإجبارهم على ترك دينهم، واضطهادهم في سلب حقوقهم، وإنما جعل لهم من الحقوق والواجبات مثل ما للمسلمين : حق المواطنة لهم ما لنا وعليهم ما علينا، وعاملتهم على أساس من الإنسانية التي تحفظ الكرامة وتصون الحقوق.

ولقد ظلت هذه المبادئ وتلك الأسس حاكمة للأمة، تسير على نهجها، فمكن الله لها في الأرض، وسادت وفازت، وكان لها مظاهر بارزة في حياتهم، ومن أهم مظاهر وصور التسامح في حياة الرسول ﷺ ما يلي:

١-أنه ﷺ لما هاجر إلى المدينة وكان فيها عدد كبير من اليهود كان أول ما قام به أن أقام معهم ميثاقًا احترم فيه عقائدهم، والتزم فيه بدفع الأذى عنهم، بحيث يكونوا مع المسلمين يدًا واحدة على من يقصد المدينة بسوء.

٢-كان للرسول ﷺ جيران من أهل الكتاب فكان يتعاهدهم ببره، ويهديهم الهدايا، ويقبل منهم حتى أن امرأة منهم دست له السم في ذراع شاة أهدتها له ﷺ لما كان من عاداته قبول هداياهم والتعامل معهم.

٣-لما جاء وفد نصارى الحبشة أنزلهم النبي ﷺ في المسجد، وقام بنفسه على خدمتهم وضيافتهم وقال يومئذ:" إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين، فأحب أن أكرمهم بنفسي" .

٤-أنه ﷺ أنزل وفد نصارى نجران في المسجد وسمح لهم بإقامة صلاتهم فيه، واستمع إلى مجادلتهم ومناقشتهم له في المسجد.

٥-أنه ﷺ قبل من المقوقس هديته والجارية التي أرسلها إليه، وتسرى بها وولدت له ابنه إبراهيم، وكان من وصاياه ﷺ بالقبط :« استوصوا بالقبط خيرا فإن لهم ذمة و رحما»[٧]
. (القبط هم عرب مسيحيين يستقرون إلى الآن بمصر)

---

[٧] - أخرجه البخارى فى التاريخ الكبير (٣٠٩/٥)

٦- روي أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان يحضر ولائم أهل الكتاب ويشيع جنائزهم ، ويعود مرضاهم ، ويزورهم ،ويكرمهم حتى روي أنه لما زاره وفد نصارى نجران فرش لهم عباثته ، ودعاهم إلى الجلوس.

٧- و من صور التسامح في حياة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ، ذلكم الرجل المشرك مُطعِم بن عدي، الذي قدَّم مساعدة للنبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم يوم دخل النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم في جِماه، حينما عاد من الطائف، دخل في حماه إلى مكة،ثمَّ ذهبت الأيام، وتوالت، وإذ بمطعم يموت كافراً ، أما وأنَّه قدَّم خدمة للنبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم فقد وقف حسان الشاعر المسلم رضي الله عنه، فرثاه فقال قصيدته التي أوَّلها :

فلو أنَّ دهراً أخلدَ مجدَه اليوم واحداً   لأخلدَ الدَّهرُ مجدَه اليوم مطعما

فبكى النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ومن أهم مظاهر وصور التسامح في حياة الصحابة – رضي الله عنهم- ما يلي:

١- أن عمر بن الخطاب ﵁ لما دخل بيت المقدس أجاب سكانها إلى ما شرطوه من ألا يساكنهم فيها يهودي، ولما حانت صلاة العصر وهو بداخل كنيسة القدس رفض أن يصلي بداخلها كي لا يتخذ المسلمون من بعده ذريعة للمطالبة بجعل الكنيسة مسجدًا لهم، وهذا دليل على احترامه لغير المسلمين، ويظهر مدى تسامح المسلمين مع غيرهم، واعترافهم بهم ومقدساتهم.

٢- لما اشتكت امرأة من مصر أن عمرًا بن العاص ﵁ أدخل دارها في المسجد بدون رضاها، أمر عمر ﵁ بهدم البناء الجديد من المسجد، وأن يعيد للمسيحية دارها كما كانت.

ويشهد التاريخ بهذه القيم الإنسانية التى أقرها الإسلام ودعا إليها، وبالتسامح الذي ربط علاقات المسلمين بباقي أهل الديانات الأخرى حتى كان من أثر تلك المبادئ السمحة ومظاهرها في حضارة المسلمين أن أشاد المؤرخون والمستشرقون بحضارة الإسلام ومن ذلك ما يلي:

١-قول السيرتوماس أرنولد وهو يتحدث عن المذاهب الدينية بين الطوائف المسيحية: ولكن مبادئ التسامح الإسلامي حرمت كل الأعمال التي تنطوي على الظلم، وضرب مثالا على ذلك أنه بعد فتح مصر استغل اليعاقبة فرصة إقصاء السلطات البيزنطية ليسلبوا الأرثوذكس كنائسهم، أما المسلمين فقد أعادوها إلى أصحابها الشرعيين.

٢-قول غوستاف لوبون:" إن الأمم لم تعرف فاتحين راحمين متسامحين مثل العرب، ولا دينًا سمحًا مثل دينهم" فكان لهذه المبادئ أثرها في دخول غير المسلمين في الإسلام وتنافسهم مع المسلمين في صنع حضارة الإسلام ماديًّا ومعنويًّا.

ثالثا:قيم التسامح

يتضح مما سبق إن التسامح الديني أو التسامح الشامل له قيم على أساسها يبنى وهذه القيم هي:

١- التسامح ضرورة وجودية للحياة:

أن أهمية التسامح الديني تتمثّل في كونه ذا بُعد وُجودي، أي أنه ضروري ضرورة الوجود نفسه لأن سُنّة الوجود تقتضي أن يكون وجود الناس على الأرض في شكل تجمّعات بشرية، وهي وإن اتّفقت في ما يجمع بينها من وحدة الأصل والحاجة إلى التجمّع والحرص على البقاء والرغبة في التّمكّن من مقوّمات الحياة والسّعي في إقامة التمدّن والعمران والتَّوق إلى الارتقاء والتقدّم فإنها قد تباينت في ما تتفرّد به كل مجموعة من خصوصية عرقية ودينية وبيئية وثقافية.

وقد صرّح القرآن بهذه الحقيقة الوجودية فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣) يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات:١٣)

٢- التسامح يقتضي المساواة بالحقوق الإنسانية:

بمعنى أن قيمة التسامح الديني تتمثّل في كونه يقتضي التسليم المطلق – اعتقاداً وسلوكاً وممارسة – بأنه إذا كان لهؤلاء وجود فلأولئك وجود، وإذا كان لهؤلاء دين له حُرمته فلأولئك دين له الحُرمة نفسها، وإذا كان لهؤلاء خُصوصية ثقافية لا ترضى الانتهاك فلأولئك خُصوصية ثقافية لا تقبل المَسّ أبداً.

٤- التسامح ضرورة اجتماعية للمجتمع المدني:

التسامح يُعدّ أساسًا لبناء المجتمع المدني وإرساء قواعده، فالتعدّدية الحزبية وحرية المعتقد وقبول الاختلاف في الرأي والفكر وثقافة الإنسان وتقدير المواثيق الوطنية واحترام سيادة القانون، خيارات استراتيجية وقيم إنسانية ناجزة لا تقبل التراجع ولا التفريط ولا المساومة، فالتسامح عامل فاعل في بناء المجتمع المدني .

رابعا: واجب المسلمين اليوم في نشر رسالة التسامح

بهذه المبادي وتلك الأسس الإنسانية لتحقيق التسامح فى الأرض يتوجب على المسلمين اليوم أمورًا مهمة هى من الواجبات الدينية التي تعمل على نشر رسالة الخير والأمن والأمان للناس جميعًا **ومن ذلك مايلي:**

١- **العمل على تأصيل مبدأ التسامح،** لا التأصيل النابع من ناحية المفهوم وأولوية السبق المصطلحي بين الشرق والغرب، لأننا لسنا في صدد إثبات أقدمية التسامح في الإسلام، إنما من أجل إبعاد الحساسية التي أبداها بعض مفكري عصر النهضة من غربة الفكرة واستيرادها. ولأجل ذلك نحن مدعون إلى تجسيد قيم التسامح فى التعامل والتكامل مع الآخرين عن طريق:

أ- الاستماع للآخرين أياً كانوا بدافع التعلم منهم لا احترامهم فحسب، خاصة من يختلفون معنا،وملاحظة قيمهم وفكرهم وطرق تفكيرهم والأسس الفكرية التي انطلقوا منها في تدعيم رأيهم وفكرهم ومنطقهم.

ب- العمل على توفير الأجواء المناسبة للتسامح و أهمها: تأصيل ذلك المبدأ داخل الأسرة الصغيرة لينشأ الأطفال متشبعين به ويعملون على تطبيقه عن قناعة في كل نواحي الحياة.

ج- الكف عن استخدام القوة في التدخل بآراء الآخرين وأعمالهم ونشاطهم وأساليب تحركهم وطرق تفكيرهم، مع إمكانية التنبيه على المزالق التي يقعون بها أو كشف من يخل

بالالتزامات الأخلاقية للتسامح أو يتجاوز قواعدها الأساسية بطريقة مشينة، ولكن لا يحق لنا أن نتدخل بآرائهم وأعمالهم وإن كنا لا نوافق عليها عقيدياً أو فكرياً أو أخلاقياً.

٢- التأكيد على حق الاختلاف بين البشر فالاختلاف آية بينة، وإن كان لا يلغى الائتلاف، فالتسامح لم يرد في الشريعة الإسلامية إلا أنه يشير إلى إحدى خصائص المجتمع المسلم، فقد دعا القرآن الكريم إلى التقوى والتشاور والتآزر والتواصي والتراحم والتعارف، وكلها من صفات التسامح.

٣- تفعيل خلق التسامح في الحياة السياسية في ظل التعددية الحزبية الموجودة في مجتمعاتنا؛ فإنه لا بد من تقبل قيام أي أقلية أو طائفة أو تنظيم سياسي أو ديني بتشكيل حزب سياسي يمثله والقيام بالترويج لأفكاره وإن كان مناهضاً لأفكارنا، فليس لنا الحق بادعاء إمتلاك الحقيقة ومصادرة رأي الآخرين.

٤- مراعاة ان التسامح يعمل على بناء مفهوم المواطنة الذي يقوم على احترام الحريات والحقوق الممنوحة للفرد والتداول السلمي للسلطة ورفض أشكال الاستبداد والدكتاتورية كافة في مختلف مناحي الحياة وهذا يتطلب سعياً جدياً نحو تغيير كل مؤسسات الدولة عن طريق القضاء على الفساد الموجود في مؤسسات الدولة المختلفة، كما يسعى إلى تأصيل مبادئ حقوق الإنسان.

خاتمة:

ومما تقدم يتضح لنا بجلاء إلى أي مدى يعتبر التسامح الإيجابي -بوصفه تسامحاً شاملاً أو تسامحاً دينياً- من العناصر الأساسية في تعاليم الإسلام، وبالتالي من الأهداف التي ترمي إليها التربية الإسلامية.

ومن هنا فإن التزام المسلمين بذلك وحمايتهم لحقوق الإنسان والجماعات المتنوعة وأتباع الديانات الأخرى الذين يعيشون في المجتمعات الإسلامية أمر يدخل في إطار التزاماتهم الدينية التي تقضي بالحفاظ والدفاع عن الحقوق الإنسانية العامة للجميع ، المسلمين اليوم نشر ودعم وتفعيل ثقافة التسامح على كافة المستويات وان ذلك من اهم أولويات العمل الدعوى والثقافى و الاعلامى والتربوى فى كل مجالات الحياة وواجب عام على الفرد والمجتمع فرسالة .وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وأله وصحبه.

المطلب الأول: سماحة الإسلام في تشريع الهجرة

الهجرة ليست مجرد حدث تاريخي، ولا مجرد رحلة قام بها النبي -صلى الله عليه وسلم- من مكة إلى المدينة المنورة أو المسلمون من قبل إلى الحبشة وإنما تعد أداة قوية دالة على حب الإسلام لتجنب الصدام والصراع، وهي تحمل صورة و نموذجًا فريدًا لكيفية التعايش السلمي مع الآخر وحرص الإسلام على التسامح بين الناس ،تطبيقا عمليا من أول الدعوة الإسلامية ، و قد بيّن الله تعالى في كتابه أن الهجرة شريعة لازمة في كل الشرائع،وقد كان للأنبياء قبل نبينا -صلى الله عليه وسلم- هجرات . فقد هاجر سيدنا نوح وإبراهيم ولوط وعيسى وإسماعيل —عليهم السلام- وغيرهم .

وهي كلها تبين عظمة سماحة الأديان الإلهية في التعامل مع الآخر، الذي رفض الإيمان والإسلام وأعلن العداء للنبي -صلى الله عليه وسلم- ومن معه، ومع ذلك لم يُؤمر نبي برد الإساءة بالإساءة ولا الإيذاء بالإيذاء، وإنما كان الأمر أولا بالهجرة للخروج من أزمة الصراع والاضطهاد والتعذيب. بالرغم مما يقع بعد الهجرة من مشقة الغربة وهجر الديار والأهل والأموال والأوطان،لكن كل ذلك من أجل إيثار السلم على الحرب، والحوار على المقاومة والإقناع على الجدال وهى أمارات وشواهد التسامح ورفض العنف والكراهية ،ولقد ضرب النبي -صلى الله عليه وسلم- أروع المثل في تحمل الأذى والاضطهاد والمشاق في سبيل نشر الدعوة إلى الله تعالى بالموعظة الحسنة، ولم يرد على التعذيب والاضطهاد الذي كان يلقاه هو ومن معه من المسلمين في مكة قبل الهجرة.

طلب منه الدعاء عليهم فعدل عن الدعاء عليهم إلى الدعاء لهم بالهداية والصلاح.

طلب منه أن ينتقم منهم فكان يصبر ويتحمل ويعفو ويصفح.

حاول المشركون إقصاء النبي -صلى الله عليه وسلم- عن الدعوة فرفض:« والله لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في يساري ، على أن أترك هذا الأمر ، حتى يظهره الله ، أو أهلك دونه ما تركته» .

حاولوا قتله وأجمعوا أمرهم على قتله مرات عدة وإن كانوا لم يقدروا ولم يستطيعوا ومع ذلك لم يرد عليهم ما فعلوا، وإنما دعا الله لهم. ورد إليهم أماناتهم، وحافظ على ممتلكاتهم وأموالهم وديارهم وأوطانهم وكان في مقدوره أن يدعو عليهم فيهلكوا. لكنه -صلى الله عليه وسلم- لا يريد للكون دمارًا، ولا للكافرين هلاكًا، وإنما يريد أن يهتدوا ويعيشوا في سلم وأمن وسلام.

إن أول بلد دخله الإسلام بعد مكة هو الحبشة حيث أمر النبي -صلى الله عليه وسلم- نفر من المسلمين بالهجرة إلى الحبشة وعلل ذلك لهم بأنهم يمكنهم العيش الآمن في مجتمع يتحقق فيه التعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم.

وكان الحوار الهادئ الذي دار بين سفير الإسلام جعفر بن أبي طالب وملك الحبشة النجاشي أثره في ظهور الإسلام في الحبشة و دخول ملك الحبشة في الإسلام؛ لأن السلم يولد السلم، والحوار يؤدي إلى التقارب والتواصل.

عندما قرأ جعفر بن أبي طالب -رضي الله عنه- على النجاشي ومن معه بداية سورة مريم بكى النجاشي، وبكى الأساقفة؛ حتى أخضلوا مضاجعهم مما سمعوا .

وقال النجاشي : (إن هذا والذي جاء به عيسى ابن مريم من مشكاة واحدة)[٨] .

لقد كان للتعامل الإنساني السلمي بين المسلمين وملك الحبشة والذي احتف بالقيم الإنسانية والمثل العليا أثر كبير في إظهار روح التسامح والتعايش السلمي الآمن بين المسلمين وأهل الحبشة؛ حتى كان من نتيجة ذلك ما يلي:

أولا: دخول ملك الحبشة الإسلام.

ثانيا: بقاء كثير من المسلمين بالحبشة.

ثالثا: الاندماج بين أهل الحبشة والمسلمين؛ حتى يفرحوا لفرح المسلمين ويهادوهم ويغالوا في كرمهم حتى كان رد الصنيع ورد الجميل من النبي -صلى الله عليه وسلم- أن كان يقوم بخدمتهم بنفسه؛ لما وفدوا إليه بالمدينة المنورة.

وقال أحد أصحابه: نحن نكفيك يا رسول الله. فقال صلى الله عليه وسلم: « إنهم كانوا لأصحاب مكرمين فإني أحب أن أكافئهم»[٩]. فهذه الصورة وغيرها مما دار بين المسلمين

---

[٨] - الروض الأنف ج٢ص ١١١- سيرة ابن هشام ص ٣٣٧

وأهل الحبشة تجسد التواصل والتقارب والاندماج بينهم، بما يتحقق التعايش السلمي بينهم ، والذي يبين بجلاء أن الإسلام لا يدعو إلى العنف أو الإرهاب؛ و إنما الإسلام دين يأمن فيه غير المسلم على دينه وعرضه ونفسه وماله، ويطلب من غير المسلم أن يكون آمنًا له وللمسلم ليتحقق السلام وتعمر الأرض، وتعيش الإنسانية في تعاون وتراحم.

إن دخول الإسلام إلى الحبشة وانتشاره فيها وهي أول دار أمن ودار خير وسلم ينتشر فيها الإسلام بعد مكة وقبل الهجرة إلى المدينة المنورة بعيدًا عن إيذاء المشركين وعبدة الأوثان بمكة لهو أصرح دليل على حب الإسلام للتعايش السلمي الآمن بين الناس جميعًا.

ولقد حاول أهل مكة تقليب أهل الحبشة على من هاجر إليهم من المسلمين.[١٠]

لكن سرعان ما باءت محاولاتهم بالفشل. حيث أقام النجاشي حوارًا بين عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة وسمع منهم ما يريده أهل مكة من المسلمين.

ولما سمع من جعفر بن أبي طالب واقتنع بما قال رد على أهل مكة هداياهم ورشوتهم وأمن المسلمين، وأقام المسلمين عنده بخير دار.

ثم تأتي بعد ذلك أحداث الهجرة إلى المدينة المنورة.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ (الأنفال :٣٠) مع تلك المحاولات المتعددة التي تريد هلاك النبي – صلى الله وسلم– وإيقاف دعوته ومع شده الأذى ومضاعفه الاضطهاد له –صلى الله عليه وسلم– ومن معه من المسلمين قتل من قتل وعذب من عذب، ومع ذلك لم يقم أحد من المسلمين برد الإساءة بالإساءة، لم يقتل مسلم مشركًا، ولم يفجر مسلم نفسه، ولم يعتد مسلم على امرأة كما اعتدى المشركون على النساء والأطفال والشيوخ والضعفاء.

لقد بلغ إيذاؤهم أن وضعوا سلا جزور بين كتفي النبي –صلى الله عليه وسلم– وهو ساجد يصلي.[١١] ومع ذلك لم يرد عليهم بمثل ما صنعوا ولم يشتمهم ولم يقاتلهم.

---

[٩] – رواه البيهقي في شعب الإيمان – فصل في المكافأة بالصنائع– رقم (٩١٢٥) ج٦ ص ٥١٨.

[١٠] – فقه السيرة للغزالي ص ١١٢– ١١٣.

[١١] – أخرجه مسلم في صحيحه– كتاب الجهاد والسير – باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم من أذى المشركين والمنافقين–رقم (٣٣٤٩) ج٩ ص ٢٧٥.– – فقه السيرة للغزالي ص ١٢٢.

مكث النبي –صلى الله عليه وسلم– ثلاث عشرة سنة بمكة يدعو الله تعالى سرًا وجهرًا بالحكمة والموعظة الحسنة ويجادلهم بالتي هي أحسن، ولم يكن يومًا فظًا ولا غليظًا.

ولما أمر –صلى الله عليه وسلم– بالهجرة إلى المدينة المنورة أمر عليًّا – رضي الله عنه– برد الأمانات إلى أهل مكة الذين عادوه وآذوه وأخرجوه.

لم يأمر بتبديد ممتلكاتهم أو إفساد تجاراتهم، وهم الذين آذوا وأخرجوه . وإنما ضرب النبي –صلى الله عليه وسلم–المثلات وبيّن قيمه الحفاظ على الأوطان وحرمة الوطن وحرمة تدمير الأوطان وأهمية ذلك في التعايش السلمي الذي يحقق معنى مهمًا من معاني القيادة التي من أجلها خلق الله الإنسان.

تحقيق عماره الكون والعمران لا يتحقق ولا يكون إلا بالتعايش السلمي بين بني الإنسان. فلو كان الإسلام دين عنف أو كراهية أو عنصرية لما حقق ذلك . ولما ظل النبي –صلى وسلم– ثلاث عشرة سنه في ظل التعذيب والاضطهاد وفي النهاية يتركهم وشأنهم ويبحث عن مكان آخر يحقق فيه الأمن والسلم والسلام. فكانت الوفود النبوية إلى مكة قبل الهجرة تحمل قيم السلام الاجتماعي المنشود .حيث استطاع النبي –صلى الله عليه وسلم– وهو في مكة أن ينشر الإسلام في وطنين جديدين حول مكة الحبشة والمدينة المنورة، إذ لم يهاجر –صلى الله عليه وسلم– إليهما إلا بعد أن وصل الإسلام كل بيوت المدينة ودخلها –صلى الله عليه وسلم– في ظل نشيد شعري يبين قيمه التعاون والتراحم والكلمة الطيبة التي بها بعث سيد المرسلين –صلى الله عليه وسلم– ليجمع الناس على كلمه سواء، ويعيش الناس في أمن وسلم وسلام : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (سورة البقرة: ٢٠٨) فتظهر قيمة الهجرة في أنها أحد المبادئ الإنسانية للتسامح الديني ونبذ العنف وإيثار السلم على الحرب والعدوان.

كما أنها تؤصل معنى الحفاظ على الأوطان وعدم المساس بها من أجل التعايش السلمي والعيش الآمن وهذه المعاني للهجرة من المعاني الأصيلة التي لا تنقطع بل وتبقى ببقاء الإنسانية.

قال -صلى الله عليه وسلم- : «لا تنقطع الهجرة ما قوتل الكفار»[١٢].

وقال صلى الله عليه وسلم- : «المهاجر من هجر ما نهى الله عنه»[١٣].

فالهجرة تعني: هجر السوء والقطيعة والإيذاء والكراهية والتباغض والتحاسد، وكل ما نهى الله عنه، والله لا يأمر بالفحشاء وإنما يأمر بالمودة والتعاون والسلم والسلام كل ذلك من مقتضيات التسامح مع الآخرين.

المطلب الثاني: سماحه الإسلام في العهود والمواثيق.

من أهم مظاهر السماحة الإسلامية في التعامل مع الآخر أن الإسلام دعا إلى العفو والصفح الجميل عمن أساء أو ظلم أو اعتدى .

وأمر الله تعالى الأمة في خطاب تشريعي للنبي -صلى الله عليه وسلم- :﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾. (آل عمران: ١٥٩)

وقال :﴿ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾. (الحجر: ٨٥)أساس من أسس التسامح

والصفح الجميل ليس إلا الصفح عن الأعداء الذين كادوا ودبروا واعتدوا ومثلوا ومع ذلك :﴿ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ﴾. (الزخرف:٨٩) تسامح يؤصل التعايش السلمي.

ولذا عفا -صلى الله عليه وسلم- وسامح كل الذين آذوه واعتدوا عليه بمكة قبل الهجرة وبعدها إلا من أمره الله بعقابهم لاعتدائهم على حق الله تعالى.

وعبر تاريخ الدولة الإسلامية التي يعيش فيها المسلمون وغيرهم لم يحدث أن أكره الإسلام أحدا على الدخول فيه، أو ترك معقتده أيًا كان.

قال تعالى :﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾. (سورة البقرة:٢٥٦)

ولقد عاش الذميون وغيرهم في كنف الدولة الإسلامية دون أن يتعرض أحد لعقائدهم وديانتهم.[١٤]

---

[١٢] - رواه الإمام أحمد في مسنده-باقي مسند الأنصار-حديث عبد الله بن السعدي رضي الله تعالى عنه- رقم (٢١٢٩٢) ج٤٥ ص ٢٩١- ورواه النسائي في السنن الكبرى- كتاب السير-انقطاع الهجرة- رقم (٨٦٥٦) ج٨ ص ٦٦.

[١٣] - أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الإيمان - باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده- رقم (٩)- ج ١ ص ١٥.

وفي السيرة النبوية شواهد كثيرة تعزز هذا المبدأ (سماحة الإسلام في التعامل مع الآخر) منها ما يلي

١- قدم طفيل بن عمرو الدوسي وأصحابه على رسول الله -صلى الله عليه وسلم -، فقالوا يا رسول الله: إن دوساً قد عَصَتْ وأَبَتْ فادْعُ الله عليهم، فاستقبل رسول الله -صلى الله عليه وسلم - القبلة ورفع يديه، فقال الناس: هلكوا، فقال: «اللهم اهد دوساً وائتِ بهم»[١٥].

٢- دعا -صلى الله عليه وسلم- لأم أبي هريرة رضي الله عنه .

فيما روي عن أبي هريرة قال: كنت أدعو أمي إلى الإسلام وهي مشركة فدعوتها يومًا فأسمعتني في رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ما أكره فأتيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأنا أبكي قلت: يا رسول الله إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام فتأبى علي، فدعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره، فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة.

فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: « اللهم اهد أم أبي هريرة». فخرجت مستبشرا بدعوة نبي الله -صلى الله عليه وسلم- فلما جئت فصرت إلى الباب فإذا هو مجاف فسمعت أمي خشف قدمي فقالت: مكانك يا أبا هريرة، وسمعت خضخضة الماء قال : فاغتسلت ولبست درعها وعجلت عن خمارها ففتحت الباب، ثم قالت: يا أبا هريرة أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله. قال: فرجعت إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فأتيته وأنا أبكي من الفرح. قال: قلت: يا رسول الله أبشر قد استجاب الله دعوتك وهدى أم أبي هريرة، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: خيرا .قال قلت يا رسول الله ادع الله أن يحببني أنا وأمي إلى عباده المؤمنين ويحببهم إلينا. قال: فقال رسول الله -صلى الله عليه

---

[١٤] - التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام — محمد الغزالي ص ٦.

[١٥] - أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الجهاد والسير- باب الدعاء للمشركين بالهدى ليتألفهم-رقم (٢٧٢٠) ج١٠ ص ٨٨- وأخرجه مسلم في صحيحه- وأخرجه مسلم في صحيحه- كتاب فضائل الصحابة- باب من فضائل غفار وأسلم وجهينة وأشجع ومزينة وتميم ودوس وطيئ-رقم (٤٥٨٦) ج١٢ ص ٣٣٨.

وسلم-:« اللهم حبب عبيدك هذا -يعني أبا هريرة وأمه- إلى عبادك المؤمنين وحبب إليهم المؤمنين». فما خلق مؤمن يسمع بي ولا يراني إلا أحبني.[١٦]

٣- ومن ذلك ما روي أن عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول أتي رسول الله - صلى الله عليه وسلم — فقال: يا رسول الله إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي فيما بلغك عنه، فإن كنت فاعلا فمر لي به، فأنا أحمل إليك رأسه، فو الله لقد علمت الخزرج ما كان بها من رجل أبر بوالده مني، وأني أخشي أن تأمر به غيري فيقتله، فلا تدعني نفسي أن أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي يمشي في الناس فأقتله فاقتل مؤمنًا بكافر فأدخل النار، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:« بل نترفق به وتحسن صحبته ما بقي معنا».[١٧]

عن ابن عمر أن عبد الله بن أُبي لما توفي جاء ابنه إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - وقال: يا رسول الله أعطنى قميصك أكفنه فيه، وصل عليه واستغفر له، فأعطاه النبى - صلى الله عليه وسلم - قميصه فقال «آذنى أصلى عليه». فآذنه، فلما أراد أن يصلى عليه جذبه عمر - رضى الله عنه - فقال أليس الله نهاك أن تصلى على المنافقين فقال «أنا بين خيرتين قال ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾». فصلى عليه فنزلت :﴿ وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا﴾.[١٨]

فلم يعنف النبي -صلى الله عليه وسلم- مع زعيم المنافقين ولم يعامله بمثل معاملته، وإنما عفا صفح وسمح.

هذه السماحة النبوية تجسد صورة حية لكيفية التعايش السلمي، والتعامل الآمن في الحياة حتى تتحقق الحياة الآمنة المستقرة، التي يستطيع فيها المسلم وغير المسلم من القيام بدوره المنوط به في الحياة.

لقد تعامل -صلى الله عليه وسلم- مع المرتدين بصوره لم يعهدها أحد في تعامل بشري .

---

[١٦] - أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب فضائل الصحابة- باب من فضائل أبي هريرة الدوسي رضي الله عنه -رقم (٤٥٤٦) ج١٢ ص ٢٨٦.

[١٧] - الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ج ٢١ ص ٧١.

[١٨] - الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري ج٣ص ٣٠٠.

روي عن أنس -رضي الله عنه- قال: كان رجل نصرانيا فأسلم وقرأ البقرة وآل عمران فكان يكتب للنبي -صلى الله عليه وسلم- فعاد نصرانيا -فكان يقول: ما يدري محمد إلا ما كتبت له فأماته الله، فدفنوه فأصبح وقد لفظته الأرض .فقالوا: هذا فعل محمد وأصحابه، لما هرب منهم نبشوا عن صاحبنا فألقوه، فحفروا له فأعمقوا ، فأصبح وقد لفظته الأرض. فقالوا :هذا فعل محمد وأصحابه نبشوا عن صاحبنا لما هرب منهم، فألقوه فحفروا له وأعمقوا له في الأرض ما استطاعوا، فأصبح وقد لفظته الأرض فعلموا أنه ليس من الناس فألقوه.[١٩]

فهذا الرجل ارتد عن الإسلام وصار يشنع على النبي -صلى الله عليه وسلم- فأماته الله ولا يوجد في الرواية أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قتله أو أمر أحدًا بقتله لردته.

والشاهد أنه ارتد ومع ذلك لم يأمر النبي -صلى الله عليه وسلم- يقم ضده بأي شيء يكرهه .

وفي يوم الفتح أعطى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – رايته سعد بن عبادة فهو أمام الكتيبة فلما مر سعد براية النبي – صلى الله عليه وسلم – نادى يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الحرمة، اليوم أذل الله قريشاً . فأقبل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حتى إذا حاذى بأبي سفيان ناداه: يا رسول الله أمرت بقتل قومك؟ زعم سعد ومن معه .حتى مر بنا قال: يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة تستحل الحرمة اليوم أذل الله قريشاً وإني أنشدك الله في قومك، فأنت أبر الناس وأوصل الناس. قال عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان: يا رسول الله ما نأمن سعدًا أن يكون منه في قريش صولة. فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – :« يا أبا سفيان اليوم يوم المرحمة، اليوم أعز الله فيه قريشاً ». قال وأرسل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى سعد فعزله وجعل اللواء إلى قيس ورأى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن اللواء لم يخرج من سعد حين صار لابنه فأبى سعد أن يسلم اللواء إلا بالأمارة عن النبي – صلى الله عليه وسلم – فأرسل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إليه بعمامته فعرفها سعد فدفع اللواء إلى ابنه قيس[٢٠] .

[١٩] -أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب المناقب- باب علامات النبوة في الإسلام- رقم (٣٣٤٨) ج١١ ص ٤٤٩.

[٢٠] – رواه المتقي الهندي في كنز العمال – كتاب الغزوات والوفود من قسم الأفعال- غزوة الفتح- رقم (٣٠١٧٤) ج١٠ ص ٥١٣.

تجاوزه -صلى الله عليه وسلم- عن مخالفيه يوم الفتح ممن ناصبوه العداء في مكة، حيث كان يوم الفتح يومًا عالميا للسماحة في الإسلام، حيث تجاوز عن أهل مكة وقال:« اذهبوا فأنتم الطلقاء».

وكان -صلى الله عليه وسلم- يقبل الهدية من غير المسلمين حيث قبل هديه زينب بنت الحارث اليهودية امرأة سلام بن مشكم في خيبر ، وقد أهدت له شاة مسمومة وضعت له السم فيها، ومع ذلك لما دعته قبل الدعوة.[٢١] بالرغم من شدة عداوة اليهود الا انه صلى الله عليه وسلم لم يعاملهم بمثل معاملتهم وانما سامح وعفا وأصلح .

---

[٢١] - سماحة الإسلام في معاملة غير المسلمين- عبد الله اللحيدان- ص ١٣.

المطلب الثالث: سماحه الإسلام في تشريع الجهاد

من رحمة الله تعالى بخلقه أن أرسل إليهم خاتم النبيين محمد -صلى الله عليه وسلم- الرحمة المهداة قال سبحانه:﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧) ورسالة الرحمة لا يمكن أن تكون سيفًا مسلطًا على الرقاب، فليس فيها قهر ولا إكراه، ولا إجبار لأحد على الدخول في الإسلام قال تعالى :﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾. (سورة البقرة:٢٥٦)

فمن سماحه الإسلام: حرية العقيدة، وحرية الرأي؛ لتعيش الإنسانية في سلام ووئام.

وقد أمر الله تعالى المؤمنين بالسلام والسلام: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾. (سورة البقرة:٢٠٨) ونهى -صلى الله عليه وسلم- عن تمني محاربه الأعداء فقال: « أيها الناس لا تمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية ».[٢٢]

وقال سبحانه:﴿ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ (النساء: ٩٠). وقال سبحانه:﴿ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ (آل عمران:٢٠). فهي تدل صراحة على أن الإسلام يدعو إلى السماحة وإلى التعامل بالحسنى واللين، وليس العنف أو القتل.

وقال سبحانه:﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ (النور:٤٥). وهذا معناه أن من أعرض فما على النبي -صلى الله عليه وسلم- إلا البلاغ المبين.

وقوله سبحانه:﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ﴾ (المائدة: ٤٨). يعني لكل أمة شريعتها الخاصة بها، وأنه سبحانه جعل الشرائع متعددة لتخيير الناس والتمييز بين المطيع والعاصي؛ ولذلك كله لم يشرع الله سبحانه وتعالى القتال أو الجهاد إلا للدفاع عن النفس أو الوطن أو العرض أو حرية العقيدة أو الدفاع عن الظلم ونصرة المظلوم، فالغرض من تشريع

---

[٢٢] - أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الجهاد والسير - باب لا تمنوا لقاء العدو- رقم (٢٨٠١) ج١٠ ٢٢٤.

الجهاد في الإسلام هو الوصول إلى السلم قال تعالى:﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (سورة البقرة:١٩٣). وقال سبحانه:﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ﴾ (الأنفال:٦٥).

في الآيات السابقة قال سبحانه :قاتلوا – القتال. ولم يقل القتل، ولم يأمر بالقتل وإنما بالقتال، لم يحرض على القتل وإنما على القتال؛ لبيان أن الجهاد شُرع في الإسلام لرد الاعتداء؛ لأن القتال مفاعله، ولا يكون إلا من طرفين؛ ولهذا قال: قاتلوا.

وبين سبحانه أن القتال مع ذلك لم يشرع إلا كرهًا : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ ﴾ (سورة البقرة:٢١٦) وهذا معناه أن الإسلام يدعو إلى السلام إلا إذا اضطر المسلمون إلى الحزم فلا مفر منه دفاعًا عن الحرمات. :﴿ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (النساء: ٨٤)

:﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (سورة البقرة:١٩٠) وهذا يعني أن الإسلام دعوة سلم في أبهى صورة من التسامح والمحبة، ومما يؤكد ذلك أن الإسلام وضع آدابًا للحرب لا يجوز المساس بها، تحافظ على حقوق الإنسان وتراعي قواعد الحق والبر.

قال تعالى:﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (الممتحنة: ٨، ٩) ونهى الله تعالى عن قتال مان لم من لم يقاتل والاعتداء على من لم يعتد.

ونهى –صلى الله عليه وسلم– عن قتل النساء والأطفال والشيوخ والرهبان وأصحاب البيع ونهى عن تدمير الممتلكات وتفجير العمران. وقال صلى الله عليه وسلم:« اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدا».[٢٣]

[٢٣] –أخرجه مسلم في صحيحه –كتاب الجهاد والسير – باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث، ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها– رقم (١٧٣١) ج٣ ص ١٣٥٧.

ونهى صلى الله عليه وسلم عن التمثيل بالقتلى أو الإجهاز على الجريح، ونهى عن قتل الغيلة .

كل هذه الصور تدل على أن الجهاد في الإسلام وسيله من وسائل السلم؛ ولذا كانت مظاهر السماحهة فيه متعددة ومتنوعة وليست محصورة في جانب بذاته.

ولهذا فإن أهداف الجهاد أو الحرب في الإسلام تنحصر في ما يلي:

أولا: الدفاع عن الحرمات.

ثانيا: رد العدوان.

ثالثا: نصره الحق والعدل.

وليس أدل على ذلك من أن مجموع الحركات العسكرية أو الجهادية في عصر النبي –صلى الله عليه وسلم– بلغت ثمانين تحركًا ما بين غزوة وسرية لم يقاتل فيها إلا في سبع فقط. المحاربون كلهم كانوا من قبائل مضر أولاد عمه –صلى الله عليه وسلم– لا يوجد أحد من ربيعه ولا قحطان.

عدد القتلى في المعارك كلها ١٣٩ و من المشركين ١١٢ .

من أهم مظاهر السماحة في الإسلام في التعامل مع غير المسلمين أن الإسلام لم يأمر ولم يحدث أباد شعبًا من الشعوب، عامل العبيد معاملة راقية، وأمر بتعليمهم وتهذيبهم، ومساعدتهم وإعانتهم وتوليهم الحكم كما حدث في دولة المماليك.

أبقى الإسلام التعددية الدينية داخل الوطن الواحد : يهود ونصارى ومسلمين ومجوس لأنه سمح لهم بمعتقداته، ولم يهدم كنائسهم ولا بيعهم.[٢٤]

[٢٤] – الجهاد مفهومه وضوابطه د/ شوقي علام ص ٢٤-٢٦.- عظمة الإسلام – محمد خليفة الإبراشي ج٢ ص ١٢-١٣- النماذج الأربعة من هدي النبي- صلى الله عليه وسلم- مع الآخر د/ علي جمعة ص ١٦-١٧.

المطلب الرابع: سماحه الإسلام في تحريم الاعتداء على غير المسلمين.

من الضروريات التي جاءت الرسالة الإسلامية لحمايتها حفظ الأنفس والأعراض والأموال والأوطان مطلقا لحماية النفس التي خلقها الله ولكرامة الإنسان الذي كرمه الله من غير نظر إلى جنس أولون أوعرق أو دين.

قال تعالى:﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ ﴾ (الأنعام: ١٥١) فالنفس محرمه مصونة لا فرق بين المسلم وغيره، لا يعتدي على نفس محرمة ولا يُعتدى عليه إلا بحق وهكذا فقد جعل الله سبحانه التعايش السلمي هو الأساس ومن أجله كانت التشريعات الإسلامية تفيض بالسماحة والسهولة لأبناء غير المسلمين في ظل المجتمع الإسلامي أنهم لهم كافه الحقوق والواجبات التي تضمن حياة آمنة مستقرة، فليس السبب في ثبوت الحقوق الإنسانية هو الدين، ولكن هو مطلق الإنسانية ، للإنسان حق الحياة، للإنسان حق الحرية، وهكذا .

لقد سمح الإسلام لغير المسلمين أن يقيموا في المجتمع الإسلامي، ولهم من الحقوق ما للمسلمين، وعليهم من الواجبات مثل المسلمين.

وهي القاعدة المعروفة لهم مالنا وعليهم ما علينا ؛ لأنها حقوق مواطنة يستوي فيها المسلم وغير المسلم .

حتى جعل أبو حنيفة أن العصمة تكون بالإيمان والأمان أو الدار أي بحكم الإقامة.

وفي القرآن الكريم شواهد لذلك:﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ ﴾ (المائدة :٤٥) لم ينص على تفرقة بين مسلم و كافر أو غير مسلم.

وقد طبق -صلى الله عليه وسلم- ذلك في وثيقة المدينة المنورة حيث جعل سكان المدينة المنورة أمة من دون الناس بما فيهم من المسلمين واليهود والنصارى وعباد الأوثان، فقد سمح -صلى الله عليه وسلم- لغير المسلمين أن يكونوا مع المسلمين في مجتمع واحد.

ولا يمكن أن يكونوا في مجتمع واحد ويعادي بعضهم بعضًا، إنما يتعاونون ويتراحمون ويتكافلون، ولا يتحقق ذلك إلا إذا كانت الحقوق محرمة بينهم لكل منهم على الآخر حرمة

النفس والعرض والمال، فهذا مظهر أساسي من مظاهر السماحة في الإسلام في بناء المجتمع المسلم.

ومن أهم مظاهر سماحة الإسلام في التعامل مع الآخر أنه حرم الاعتداء على غير المسلم وجعله جريمة من أكبر الجرائم التي تستوجب لعنة الله عز وجل.

أولا: جعل الإسلام دم الذمي كدم المسلم ودينه لما رواه البخاري أنه – صلى الله عليه وسلم–:« من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاما»[٢٥]

روي أن رجلا من المسلمين قتل رجلا من أهل الكتاب فرفع إلى النبى –صلى الله عليه وسلم– فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– :« أنا أحق من وفى بذمته ». ثم أمر به فقتل.[٢٦]

روي عن أبي الجنوب الأسدي قال : أتى على بن أبى طالب –رضي الله عنه– برجل من المسلمين قتل رجلا من أهل الذمة قال: فقامت عليه البينة فأمر بقتله فجاء أخوه فقال: إني قد عفوت قال: فلعلهم هددوك وفرقوك وفزعوك؟ قال: لا ولكن قتله لا يرد علي أخي وعوضوني فرضيت. قال: أنت أعلم من كان له ذمتنا فدمه كدمنا وديته كديتنا.[٢٧]

فهذا التعامل الذي يؤسس على المساواة التامة بين المسلم وأهل الكتاب يشير إلى صوره من صور التسامح الديني في تحريم الاعتداء على غير المسلم، وأنه كالمسلم بلا فرق.

والفقهاء يقررون: الذمي معصوم الدم كالمسلم، واختلاف الدين ليس سببًا لإباحة دمه أوماله باتفاق.

فالمسلم يقطع إذا سرق مالا مملوكًا للذمي لحماية مال الذمي، وهذا معناه أن الحقوق لا تختلف لأن عصمة الدم والمال والعرض إنما هي على أساس الإنسانية، وهي لا تختلف من دين لآخر.

وهذه الصور وغيرها تقرر سماحه الدين الإسلامي في اعترافه بوجود غير المسلمين واعترافه بحقوقهم المساوية لحقوق المسلمين، والتي لا تختلف مع الزمان أو المكان.

من سماحة الإسلام في تعامله مع الآخرين أن قرر المساواة التامة بين المسلمين وغيرهم.

---

[٢٥] -- أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الجزية- باب إثم من قتل معاهدا بغير جرم- رقم (٢٩٣٠) ج ١٠ص ٤٢٣.

[٢٦] - رواه البيهقي في السنن الكبرى للبيهقي وفي ذيله الجوهر النقي - كتاب النفقات- باب بيان ضعف الخبر الذي روي في قتل المؤمن بالكافر وما جاء عن الصحابة في ذلك- رقم (١٦٣٤٢) ج ٨ ص٣٠.

[٢٧] - رواه البيهقي في السنن الكبرى- كتاب الجراح (الجنايات) الروايات فيه عن علي رضي الله عنه- رقم ٠١٥٩٣٤)ج٨ ص ٦٢.

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى ﴾ (سورة البقرة: ١٧٨) كلمة القتلى لفظ عام يشمل المسلم وغير المسلم ونظيرها كلمه النفس في قوله:﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ﴾ (المائدة:٤٥) مطلقا فلا فرق بين مسلم وغير مسلم لحرمة النفس وحرمة الدم. فالنفس معصومة بالإنسانية. **ومن سماحه الإسلام:** أن حرم الاعتداء على أموال غير المسلمين وأعراضهم وجعلهم كالمسلمين. قال –صلى الله عليه وسلم– في يوم حجه الوداع مخاطبًا الناس جميعًا :« يا أيها الناس، ألا أي يوم أحرم؟ " ثلاث مرات، قالوا: يوم الحج الأكبر. قال: "فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا لا يجني جان إلا على نفسه، ولا يجني والد على ولده، ولا مولود على والده ».[٢٨]

وهكذا دل الحديث على حرمة الدم والعرض والمال .

وقال صلى الله عليه وسلم:« ألا من ظلم معاهدا ، أو انتقصه ، أو كلفه فوق طاقته ، أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس ، فأنا حجيجه يوم القيامة ».[٢٩]

وقال صلى الله عليه وسلم:« من آذى ذميًّا فأنا خصمه ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة ».[٣٠]

وقال –صلى الله عليه وسلم– :« من آذى ذميًّا فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله عز وجل ».[٣١]

وفي عهد النبي –صلى الله عليه وسلم– لأهل نجران أنه لا يأخذ منهم رجل بظلم آخر.[٣٢]

---

[٢٨] - رواه ابن ماجه في سننه- ت الأرنؤوط- أبواب المناسك - باب الخطبة يوم النحر-رقم(٣٠٥٥) ج٤ص ٢٤٣.

[٢٩] - رواه أبو داود في سننه- - باب تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا بالتجارات- رقم (٣٠٥٢) ج٤ ص ٦٥٨.

[٣٠] - رواه المتقي الهندي في كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال برقم (١٠٩١٣) ج٤ص٣٦٢.

[٣١] - جامع الأحاديث للسيوطي ج٢ ص ١٥٨.

[٣٢] - رواه أبو يوسف في الخراج ص ٧٢.

المطلب الخامس: سماحة الإسلام في التعامل مع غير المسلمين.

إن التطبيق العملي لتعامل النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين مع غير المسلمين يدل بوضوح على سماحه أخلاق الإسلام وسماحة المسلمين في تعاملاتهم مع غير المسلمين ومن أهم تلك الصور التطبيقيهة مايلي:

أولا: أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قبل هدية النجاشي، وقبل هدية المقوقس عظيم الروم.

ثانيا: أنه –صلى الله عليه وسلم– ترك وفد نجران يصلي في مسجده الشريف. وهذا من أهم ألوان التسامح الديني.

ثالثا: خدمته –صلى الله عليه وسلم– لوفد نجران بنفسه، وقوله: : « إنهم كانوا لأصحاب مكرمين فإني أحب أن أكافئهم»[٣٣].

رابعا: من سماحة الإسلام في التعامل مع غير المسلمين أن ترك لهم حرية العبادة وأبقى لهم أماكن عبادتهم: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ (الكافرون:٦)

فلم يأمر الإسلام في القرآن أو السنة بهدم معابد أوكنائس أهل الكتاب، ولا تحريقها ولا تدميرها وإنما أمر بالحفاظ عليها وحمايتها قال تعالى:﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ (الحج: ٤٠)

خامسًا: من صور تسامح الإسلام في التعامل مع غير المسلمين: تركهم يفعلون ما يعتقدون أنه حلال في دينهم وإن كان حرام في الإسلام مثل: الخمر والخنزير بيعًا وشراءً وتناولا ونحو ذلك فلم يأمر الإسلام بالتنازل عما أحل لهم لأنه حرام في الإسلام.[٣٤]

سادسًا: نهى القرآن عن مجادله أهل الكتاب إلا بالتي أحسن والآيات في ذلك كثيرة منها قوله تعالى:﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (العنكبوت: ٤٦)

سابعا: أباح الإسلام مؤاكلة أهل الكتاب والأكل من ذبائحهم مصاهرتهم والتزوج منهم، وهذا معناه أن الإسلام سمح الكتابية أن تكون أما وربة بيت في المجتمع الإسلامي وشريكه

---

[٣٣] – سبق تخريجه.

[٣٤٣٤] ـ معاملة غير المسلمين- ادوار غالي- ص ٩٨.

حياته للمسلم وأن يكون أخوال أولاده من غير المسلمين. قال تعالى:﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾ (المائدة:٥)

ثامنًا: من تسامح الإسلام أجاز القرض والوقف من مال المسلمين لغير المسلم من غير خلاف بين أحد من المسلمين، وأنه يجوز صرف الزكاة لهم، وقضاء ديونهم تأليفًا لقلوبهم ودعوة للمودة والبر بهم. قال تعالى:﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ﴾ (التوبة:٦٠)

تاسعًا: من مظاهر التسامح في الإسلام مع غير المسلمين ما قرره الفقهاء أنه لا يحق للزوج المسلم مناقشة الزوجة الكتابية في مسألة إسلامها لمخالفته لعقد الذمة وعللوا ذلك بأنه يخشى منه الإكراه المحظور والمنهي عنه في قوله تعالى:﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾. (سورة البقرة:٢٥٦)

كما قرر الفقهاء أنه لا يجوز للزوج أن يمنع زوجته الكتابية من أداء عبادتها وشعائرها وبعض المذاهب يرى أنه يصحبها إلى حيث تؤدى شعائرها في الكنيسة إذا رغبت في ذلك[٣٥].

عاشرا: من أهم صور التسامح الديني في التعامل مع غير المسلمين أن المسلمين ما حكموا بلدًا إلا وأبقوا على ما فيه من ديانات وملل وذلك لتكريم الإسلام للإنسان مهما كان اعتقاده، وهذه الحرية صورة جليلة من صور التسامح الديني لم يؤخذ لها نظير في القارات الخمس، ولم يحدث أن انفرد دين بالسلطة ومنح مخالفيه في الاعتقاد كل أسباب البقاء مثل ما صنع الإسلام.

حادي عشر: شهادة كتاب الغرب بأن الإسلام دين التسامح مع الآخر، وأن المسلمين وحدهم جمعوا بين الغيرة لدينهم وروح التسامح نحو أتباع الديانات الأخرى.

---

[٣٥] - الحرية في الإسلام – علي عبد الواحد وافي ص ٦١.

يقول جوستاف لويون في كتاب(حضارة العرب) أن مسامحة محمد لليهود والنصارى كانت عظيمة للغاية، ولم يقل بمثلها مؤسسوا الأديان التي ظهرت قبله كاليهودية والنصرانية على وجه الخصوص و قد سار خلفاؤه على سنته.[٣٦]

وذكر السير توماس ارنولد: لقد عامل المسلمون الظافرون العرب المسيحيين بتسامح عظيم من القرن الأول للهجرة واستمر هذا التسامح في الظروف المتعاقبة، ونستطيع أن نحكم بحق أن القبائل المسيحية التي دخلت الإسلام إنما اعتنقته عن اقتناع وإرادة حرة، وأن الغرب المسيحيين الذين يعيشون في وقتنا هذا بين جماعات المسلمين لشاهد على هذا التسامح[٣٧].

و كتب الشاعر الأمريكي رونالد ركويل بعد أن أشهر إسلامه: لقد راعني حقًا تلك السماحة التي يعامل بها الإسلام مخالفيه سماحة في السلم وسماحة في الحرب والجانب الإنساني في الإسلام واضح في كل وصاياه.[٣٨]

و كتب الأديب العالمي جورج برناردشو مبينًا تشويه رجال الدين في العصور الوسطى للإسلام بسبب التعصب أو الجهل فقال: لقد عمد الاكليروس أي : رجال الدين في العصور الوسطى على تصوير الإسلام في أحلك الألوان، وذلك بسبب الجهل أو التعصب الذميم والواقع أنهم كانوا يسرفون في كراهية محمد ودينه ويعدونه خصمًا للمسيح، أما أنا فأرى أن يُدعى محمد: منقذ الإنسانية، وأعتقد أن رجلا مثله إذا تولى زعامة العالم الحديث نجح في حل مشكلاته وأحل في العالم السلام والسعادة وما أشد حاجه العالم اليوم إليها.[٣٩]

وصلى الله علي سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

أهم المراجع:

١. الأحكام السلطانية، أبو يعلى الفراء الحنبلي، دار الفكر، ١٤٠٦هـ.

٢. أحكام أهل الذمة، ابن قيم الجوزية، تحقيق: يوسف أحمد البكري وشاكر العاروري، دار ابن حزم، الدمام، ١٤٠٨هـ.

[٣٦] - حضارة العرب –جوستاف لويون – ترجمة زعيتر ص ١٢٨.

[٣٧] - الدعوة إلى الإسلام- السير توماس أرنولد – ترجمة حسن إبراهيم – عبد المجيد عابدين – إسماعيل البحراوي- ص ٥١.

[٣٨] - كلمات من الغرب- محمد إبراهيم جريدة الأهرام ١٣/ ٤/ ١٩٩٣م.

[٣٩] - معاملة غير المسلمين في المجتمع الإسلامي – ادوار غالي ص ٤٦- ٤٨.

٣. الإسلام وأهل الذمة، علي حسن الخربوطلي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٣٨٩ هـ.
٤. الأموال، أبو عبيد القاسم بن سلام، تحقيق: محمد خليل هراس، ط٢، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٣٩٥هـ.
٥. الأموال، حميد بن زنجويه، تحقيق: د. شاكر ذيب فياض، مركز الملك فيصل لبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٠٦هـ.
٦. أهل الذمة في الإسلام، د. أ. س. ترتون، ترجمة وتعليق: حسن حبشي، ط٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م.
٧. تاريخ الأمم والملوك، محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ.
٨. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ.
٩. جامع البيان، محمد بن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ.
١٠. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، ط٢، دار الشعب، القاهرة، ١٣٧٢هـ.
١١. الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، آدم متز، تعريب: محمد عبد الهادي أبو ريدة، ط٤، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٨٧هـ.
١٢. حضارة العرب، غوستاف لوبون، ترجمة: عادل زعيتر، مطبعة عيسى البابي الحلبي.
١٣. حقوق غير المسلمين في بلاد الإسلام، صالح حسين العايد، دار أشبيليا، ١٤٢٢هـ.
١٤. الخراج، أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٤٦هـ.
١٥. الدعوة إلى الإسلام، السير توماس أرنولد، تعريب: الدكتور حسن إبراهيم حسن والدكتور إسماعيل النحراوي والدكتور عبد المجيد عابدين، ط١، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٤م.

١٦. سماحة الإسلام، أحمد الحوفي، إصدارات المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٣٩١م.